كثارسيس

مع زينة دكّاش... العمّال الأجانب يروون جحيمهم

محمد همدر

تخرج زينة دكّاش من سجن لتدخل إلى آخر. السجن الجديد الذي تختبره منذ فترة ليس سجناً تقليدياً، ولم تثبت التهم أو الأحكام على نزلائه. إنّه سجن اختياري، يقصده روّاده بسبب الضيق الاقتصادي، يتركون بلادهم في أفريقيا وآسيا ويتجهون الى لبنان والدول العربية، ليصبحوا في خدمة السيّد والمدام.

شغل موضوع العمالة الأجنبية في لبنان الإعلام والثقافة، وتمت مقاربته من زوايا عدة؛ من العنصرية والعنف والفوقية والعبودية والقوانين. ستبرز دكّاش هذه الجوانب من خلال مواجهة بين العمّال والجمهور على الخشبة في عمل أخرجته أخيراً بعنوان «شبيك لبيك...» نشاهده عند الثامنة من مساء اليوم والغد في AltCity (الحمرا ـ بيروت).

في السنوات الماضية، اختبرت دكاش هذا النوع من المسرح التفاعلي أو العلاج بالدراما في سجن رومية من خلال عرض «12 لبناني غاضب» (2009)، وفي سجن بعبدا للنساء (مسرحية «شهرزاد ببعبدا» 2012، وفيلم «يوميات شهرزاد» 2013)، ومع نزلاء «مستشفى الفنار للأمراض العقليّة والنفسية والعصبيّة» في عرض «من كل عقلي...» العام الماضي.

عاملات من إثيوبيا، وبوركينا فاسو، والسنغال، والكاميرون وسيريلانكا مع عمّال من السودان، يعيدون بناء أجزاء من قصصهم في البلد الذي هاجروا إليه، مع كفيل ووسيط يحضرهم بموجب نظام كفالة يفترض به أن يكون المرجع في العلاقة بين العامل الأجنبي وكفيله اللبناني. من جهة ثانية، يظهر العرض وجهة نظر الطرف الآخر، أي الكفيل الذي سيتعايش مع شخص أجنبي لا يتقن لغته ولا ثقافته، حيث سيفقد خصوصيّته وبعضاً من مساحته لصالح العامل المقيم معه في منزله. ظروف الطرفين تؤثر سلباً على علاقتهما ويحدث ما يحدث من تعدٍّ واضطهاد، ويخرج الكفيل منتصراً بطبيعة الحال، مع غياب أي قانون لحماية العمّال الأجانب وبوجود تحيّز ضد هؤلاء لصالح ابن البلد.

بعض المشاركين سيخبرون قصصاً عن طفولتهم ومشاهد أخرى سنستمع إليها في العرض الذي أنتجه «المركز اللبناني للعلاج بالدراما» (كثارسيس)، بدعم من السفارة النروجية في لبنان. لوحات فولكلورية وموسيقية يقدمها الممثلون، يعرّفون من خلالها على ثقافاتهم وتقاليدهم ومعالمهم السياحية. ربّما هم بحاجة إلى التذكير دائماً، كي لا يفوتنا ذلك، بأنّ لهم حضارة وتاريخاً وبلاداً واسعة جميلة، دفعتهم الظروف المالية إلى الهجرة منها. إنّها الظروف نفسها التي دفعت بآلاف اللبنانيين للهجرة بحثاً عن فرص عمل في الخارج. في حديثها مع «الأخبار»، تقول المشاركة الآتية من إثيوبيا لاردي إنّ قوانين العمل التي تحكم علاقة العامل اللبناني بربّ عمل خارج لبنان، أفضل بكثير من القوانين الموجودة هنا. تؤدي لاردي في «شبيك لبيك...» دور السيّدة المتكبّرة المتعالية الأنانية التي لا تفكّر إلا بنفسها ولا تهتم بالعاملة المقيمة في منزلها ولا بمعاناتها. لاردي مقيمة في لبنان منذ عشر سنوات، جاءته في الـ 16 من عمرها، ولم يخبرها أحد ما الذي يجب عليها فعله هنا. كلّ ما قيل لها «ستسافرين للعمل في لبنان ومساعدة عائلتك». في المدرسة، كانت تحبّ الغناء والرقص والتمثيل، لكن لم يتسنّ لها ممارسة هذه الهوايات في بلدها، ولم تكد تكمل سنوات المراهقة حتى وجدت نفسها عاملة تنظيف في منزل في لبنان.

بدأت زينة دكاش العمل على العرض منذ تسعة أشهر، ولم تستطع الاجتماع بأعضاء الفرقة الـ 24 إلا في الآحاد لساعتين فقط.

«لا تستطيع إنجاز مسرحية خلال ساعتين كل يوم أحد»، تخبر زينة عن المصاعب التي واجهتها خلال إنجاز العرض. ستضطر مرة أخرى كما فعلت في السجون، إلى معايشة واقع الممثلين، ففي حال العاملة الأجنبية

> يقدم العرض عمّالاً يقصّون علينا حكاية حرمانهم من أبسط حقوقهم

«لا تستطيع المدام الاستغناء عن وجودها في المنزل»، بينما يستطيع بعضهم التفرّغ ساعتين مساءً خلال الأسبوع، وآخرون في يوم آخر خلال النهار. الصعوبة التي واجهتها للاجتماع بهم تقع في صلب العرض الذي يميط اللثام عن حرمانهم من حياتهم الطبيعية ومن أبسط حقوقهم كالحرّية.

لا تلجأ دكاش مؤسّسة مركز «كثارسيس» إلى المسرح التفاعلي للإضاءة على المشاكل الاجتماعية والإنسانية فحسب، بل أيضاً لإيمانها بأنّه قادر على تغيير بعض وجهات النظر أو حتى القوانين المجحفة بحق الفئات المضطهدة. هذا الموضوع سيكون محل مناقشة مع منسّق جمعية Migrant Workers Task Force عمر حرفوش، في حلقة تلي العرض.

«شبّيك لبّيك» لزينة دكاش: 20:00 مساء اليوم والغد ـ AltCity (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 162573/03

فنون مشهدية

«السقيفة» على الخشبة تجربة جريئة تخاطب الراهن العربي

تونس - **محمد أمين بن هلال**

«وا محمّداه»، ذلك هو اللفظ الذي مثّل شرارة لما سيأتي بعده. ذلك القادح لفتنة كادت أن تفتّ عضد الدولة الإسلامية الفتيّة حينها، جاء صيحة شقّت سكون «المسرح البلدي» في تونس العاصمة حيث عرضت مسرحية «السقيفة» (70 د) أول من أمس. أخرج حافظ خليفة العرض عن نص لبوكثير دومة، عائداً إلى هذه الحادثة التاريخية في قراءة فنية فريدة. قد لا يلاحظ الجمهور فرقاً بين ما يجري على خشبة المسرح وما يدور في أروقة السياسة في العالم العربي. الحاكم العربي لا يُقيله إلا الموت، فيما يتصارع خلفاؤه على كرسيّه إن لم يتم الانقلاب عليه وهو حيّ. عقليّة الحكم مدى الحياة تقابلها عقلية الانقضاض على الحكم متى سنحت الفرصة في ذلك، فتجعل البلدان العربية «جملكيّات» (جمهوريات في الظاهر ومَلكيات في الواقع) يرزح «مواطنوها» تحت نيْر الظلم والغَلبة التي يجيدها رؤساء هذه الدول وملوكها. هكذا يقارب خليفة الواقع العربي في العرض الذي انطلق بتجمع «الصحابة» حول ضوء منبعث من كوّة سرعان ما يختفي، لتتشكل حلقات سلسلة درامية من الصراع حول السلطة آنذاك. صراع بين الأنصار والمهاجرين، أي بين من يرى الخلافة في سعد بن عبادة، وبين من يراها في أبي بكر الصديق، ولكلّ منهما شيعة تنصره وعترة تدعمه. سعد مدعوم من الحباب بن المنذر الذي لا يتوانى عن الاستغاثة بالأنصار كلما أحس بالكفة تميل لغير صالحهم، فيما يقف عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وراء أبي بكر الصديق، ويريانه ومن ورائهما قريش أحق بالخلافة وأجدر بها. وبين هذا وذاك، يبرز أبو سفيان، داهية قريش، مستحثاً علي بن أبي طالب لأن يدلي بدلوه ويرمي سهماً مع الرّامين، فهو الأقرب إلى النبي محمد، ابن عمه وزوج ابنته وأبو حفيديه، لكن عليّاً يتمنّع وينأى بنفسه عن أن يكون وقوداً لحرب إذا استعرت، قد لا يمكن إخمادها.

يجادل عمر بن الخطاب بأن المهاجرين «هم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر

> يستعيد العرض حادثة «السقيفة» عام 632 هجري

من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم». ويضيف أبو بكر الصديق مخاطباً الأنصار: «منا الأمراء ومنكم الوزراء» ليرد الحباب بن المنذر مزمجراً «يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق». وبين هذا وذاك، ينتصب البشير بن سعد حكماً بين الجمعَيْن لينحاز إلى المهاجرين، فتميل الكفة لصالحهم، فيما يواصل أبو سفيان من دون كلل محاولاته لإقناع علي بدخول مضمار الخلافة، فينهره الأخير ويذكره بأيام كان فيها أبا سفيان سيفاً مسلولاً على المسلمين قائلاً: «يكفيك ما جرعتنا عذاباً ودماً، يا سيد قريش، يا زوج هند آكلة أكباد الرجال».

لكنّ أبا سفيان يبرز في آخر المسرحية ممسكاً بخيوط اللعبة، حيث توضع عشرة سيوف على الخشبة ويخرج عمر وأبو بكر وعلي وسعد والبشير والحباب بن منذر، ليمشي كل واحد منهم بضع خطوات قبل أن يسقط ميتاً ليبقى أبو سفيان وحده على الركح رافعاً يديه عالياً شامخاً بالنصر، عاكساً صورة الداهية الذي لا يبرز كثيراً في الصورة ولكنه آخر من يضحك، فكأن كمن حكم بالأمس ليعود اليوم ويعاود الحكم من جديد.

المسرحية التي راوحت بين الفصحى واللهجة العامية التونسية، وقد يختلف المؤرخون في مدى تطابقها مع الوقائع التاريخية ونسبة تطابقها مع ما وقع فعلياً في سقيفة بني ساعدة، تعد ثورة فنية من حيث تشخيصها للصحابة. وهو ما اعتبره حافظ خليفة سابقة في المسرح قائلاً: «عرضنا للمرة الأولى في تاريخ المسرح العربي والعالمي شخوص الصحابة على الركح، وأعتقد أن هذا أصبح ممكناً بعد الفتاوى في مسلسل "عمر" وما نراه من تجسيد للأنبياء في المسلسلات الإيرانية التي اعتبرت ثورة فنية جديدة من دون المس بالمقدسات وهيبة هذه الشخصيات الجليلة». أما الأهمية الأكبر، فتمثّلت في استعادة حادثة «السقيفة» عام 632 هجري، وتقلباتها السياسية والإيديولوجية وإسقاطها على التقلّبات والأحداث السياسية العربية التي تلت «الربيع العربي».